القصص :

راجت في العصر العباسي القصص وكثر الاقبال عليها . وهي ـ وان كانت في نظر بعض الباحثين وحسب معاييرهم لاتدخل في باب القصة ؛ لأن الخصائص المطلوبة غير متكاملة فيها ـ تروى للتسلية والسمر وقضاء أوقات الفراغ الى جانب ما فيها من عبر وعظات ودروس اخلاقية . ولاسيما التي تتناول البطولة والفروسية قبل الاسلام وبعده .

وكانت بعض القصص تدور على السنة الطير والحيوان . كما هو الحال في كتاب « كليلة ودمنة » الذي نقله الى اللغة العربية عبدالله بن المقفع . وهو أثر نفيس يصور « البهائم والطير كائنات عاقلة مفكرة مدبرة تخضع لنوازع الغرائز وشهوات النفوس خضوعها الى الاعتبار بالاحداث والاحتكام الى الضمير والرغبة في التفلسف واستخلاص العظة أو المثل من المواقف والعلاقات »(٦١٤) ولسهل بن هارون كتاب على شاكلة كليلة ودمنة . الأول « ثعلة وعفراء » . وقد نقل الحُصري القيرواني الفقرات الآتية منه : « اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدماً قبل الذي تجودون به من تفضلكم . فانّ تقديم النافلة مع الابطاء عن الفريضة مظاهر عن وهن العقيدة . وتقصير الروية . ومضرٌ بالتدبير . مخلٌ بالاختيار . وليس في نفع محمدته عوض من فساد المروءة ولزوم النقصيصة » وقال معقباً : « وكتابه هذا مملوء حكماً وعلماً »(٦١٥) والكتاب الثاني « النمر والثعلب » . وهو ممتع طريف الاسلوب . يدور على شخصيات ثلاث : الثعلب الحكيم . والذئب الجحود . والنمر الطاغي وقد وصل الينا منه نصوص كاملة .(٦١٦)

وكانت مجالس الوعظ آنذاك تميل الى القصص الديني . ولاسيما في تفسير بعض آيات القرآن الحكيم . وقد شاهد الجاحظ طرفاً من هذه المجالس وذكر أسماء مجموعة من قُصّاص العصر العباسي الاول . قال : « ومن القُصّاص موسى بن سيّار

---

(٦١٣) البيان والتبيين ٢ : ١٩٢ .

(٦١٤) الحكاية الشعبية ص ٤١ .

(٦١٥) زهر الآداب ١ : ٥٧٧

(٦١٦) العصر العباسي الاول ص ٥٢٠ ، وينظر العدد الاول من حولية الجامعة التونسية سنة ١٩٦٤ .

الأسواري . وكان من أعاجيب الدنيا ... وعمرو بن فائد . كان حافظاً للسير ولوجوه التأويلات . فكان ربما فسّر اية في عدة أسابيع ... وكان يقصّ في فنون من القصص ويجعل للقرآن نصيباً من ذلك ... ثم قصّ من بعده القاسم بن يحيى . وهو أبو العباس الضرير . لم يدرك في القُصّاص مثله »(٦١٧) وهؤلاء القُصّاص كانوا يعنون بالأسلوب وضبط الكلام وطريقة الالقاء كي يُقبل عليهم الناس ويلتفّو حولهم وينصتوا اليهم . قال الجاحظ عن الفضل بن عيسى الرقّاشي : « كان شجاعاً في قصصه . وكان عمرو بن عُبيد وهشام بن حسان . وأبان بن أبي عيّاش . يأتون مجلسه ... وقد كان عبدالصمد بن الفضل . وأبو العباس القاسم بن يحيى . وعامة قُصّاص البصرة . وهم أخطبُ من الخطباء . يجلس اليهم عامة الفقهاء »(٦١٨)

ويمكن أن نضيف الى ماسبق الحكايات التاريخية التي يندر فيها الحوار وتأخذ طابع السرد المباشر . مثل قصة انتقام قصير بن سعد اللخمي لجذيمة الأبرش الذي صرعته الزباء ملكة تدمر .(٦١٩) وقصة معركة القادسية التي صوّر فيها ابو حنيفة الدّينوري احداثها تصويراً دقيقاً كما وقعت بين المسلمين والفرس من غير تعمل او افتعال . وقد تماسكت فيها الاحداث وان اشتملت على حكايات فرعية مثل حكاية طلحة بن خويلد الاسدي الذي بعثه سعد بن ابي وقاص ليأتيه بخبر الفرس . فذهب وتحرّى المكان المطلوب واصطدم بعدد من الخصوم وعاد ومعه احدهم اسيراً . وقصة أبي محجن الثقفي الذي خرج من سجنه للقتال بعد أن ركب فرساً بلقاء بمساعدة زوجة سعد بن أبي وقاص . وقاتل قتال الأبطال وأثخن الجراح في الأعداء وعاد ظافراً مرفوع الرأس .(٦٢٠)

وتجدر الاشارة هنا الى أن هناك حكايات لبعض الأطباء مع مرضاهم فيها نوادر ظريفة وحيل طريفة . وقد نقل لنا علي بن سهل الطبري طائفةً منها في كتابه فردوس الحكمة .(٦٢١)

---

(٦١٧) البيان والتبيين ١ : ٣٦٨ .

(٦١٨) البيان والتبيين ١ : ٢٩٠ .

(٦١٩) الكتابة الفنية في مشرق الدولة الاسلامية ص ٢١٦ نقلاً عن كتاب (أمثال العرب) لابي عبيد القاسم بن سلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٠٧٩٩ ز .

(٦٢٠) الأخبار الطوال ص ١١١ وما بعدها .

(٦٢١) طبع في برلين سنة ١٩٢٨ بتصحيح الدكتور محمد الصديقي .